التوجيه الدلالي للتحويل بحذف الفعل؛ مقاربة تحويلية

أ. محمد مغناجي
المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية- قسنطينة

ملخص:

يحاول المقال البحث في قضية التحويل بحذف الفعل من الجملة في اللغة العربية، وفق مقاربة تحويلية للوصول إلى التوجيهات الدلالية التي يحققها حذف الفعل في الجملة في اللغة العربية، والدراسة كانت في ربع مريم من القرآن الكريم..

Abstract:

The article tries to look at the issue of conversion to delete the verb of the sentence in Arabic, according to a transformative approach to reach Remember guidance achieved by deletion of the verb in the sentence in the Arabic language, and the study was Mary(maryam) in the quarer from the Koran.

التّوجيه الدّلاليّ للتّحويل بحذف الفعل:

إن" الحذف ظاهرة لغوية عامّة تشترك فيها اللغات الإنسانية"(1)؛ والحذف القطع من الطرف في اللغة، وفي الحديث الشريف"حذف السلام في الصلاة سنّة، هو تخفيفه وترك الإطالة فيه"(2)، ولذلك الطريقة التي نحاول أن نحلّل بها العناصر المحذوفة (الفعل) في بنية الجملة الفعلية هي ذاتها التي رئى بها التحليل في النحو العربي القديم وحتّى الحديث؛ ذلك كله متقارب أشدَّ التّقارب "من الطريقة التي استخدمها النحو التوليدي التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف"(3)؛ وذلك أن المحذوف من ظاهر البنية السّطحية ليس تاركا أثرَه البلاغيَّ بل مستقرَاً بقرائن التّأويل والتّقدير المعنوية واللغوية، ومن صور حذف الفعل أن "يكون المسند(الفعل) محذوفا في البنية السطحية للجملة الفعلية المركبة المحتواة فيها هذه الوحدة الإسنادية الاسمية المؤدّية وظيفة الفاعل، ونقف عليها في قوله تعالى من الآية 5 من سورة الحجرات:(وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فلو أنهم صبروا كلها بوصفها وحدة إسنادية أدّت وظيفة الفاعل للفعل المحوّل بالحذف(ثبت) الذي لا يظهر في البنية السطحية، وأساس ذلك أن جمهور النّحاة منهم الكوفيون والمبرّد والزّجاج والزّمخشري ذهبوا إلى أن الوحدة الإسنادية الاسمية بعد (لو) هي في موضع رفع على الفاعلية بفعل مضمر تقديره (ثَبَتَ)"(4)، ونجعل بين مصطلحي الحذف والتقدير شبه تطابق مع بعض الاختلاف الطفيف عند البلاغيين والنحاة؛ " فمن الممكن أن ننظر إلى الحذف والتّقدير لا كاصطلاحين يختلف مضمونهما بل بوصفهما ظاهرة واحدة الأبعاد في جوهرها من التلازم بين الحذف

والتّقدير؛ إذ الحذف ليس إلاّ تقدير ما لا وجود له في اللّفظ، كما أن التّقدير- في مجاله الرّئيس- ليس إلاّ حذف بعض أجزاء النّصّ الكلاميّ في اعتبار النّحاة"(5).

التحويل بحذف الفعل: وله مصطلحاته عند سيبويه منها "الاختزال والإضمار والإخفاء"(6) وغيرها:

أي يقدر الفعل في سياق الآية الكريمة، بعد عملية تطبيق قاعدة التحويل بحذفه، أو إسقاطه كما يقول تشومسكي- في التّحليل التوليدي التّحويلي للغة، من البنية الظاهرة للغة في آيات القرآن العظيم، وله قرينة دالة على وجوده؛ أو دليل(*) كما يرى ابن هشام"(7) إمّا لأن المفعول به الظاهر يحتاج إلى فعل معيّن إن كان الفعل متعدّيا، أو يقدّر الفعل بعد أداة للعطف-وهو غزير- مثاله: في قول الله عزّ مِن قائلٍ:"تنزيلا ممّن خلق الأرض والسّماوات العلى" فتنزيلا مفعول مطلق لفعل محذوف على صيغة الإجبار أو اللّزوم تقديره نزّلناه تنزيلا؛ إذ " ذهب النّحاة إلى أنّه يجوز حذف عامل المصدر المؤكّد؛ وذلك لأنه جيء به لتقوية المؤكد وتقرير معناه(...) وأمّا فعل المصدر المبين للنّوع والعدد، فجائز الحذف لدليل حالي أو مقالي فقد قال ابن مالك:"حذف ما يعلم جائز"(8)، كأن يقال: ألم تُهنِ المقصّرَ؟ فتقولُ: بلى إهانةً بالغةً أو إهاناتٍ متعدّدةً، وكقولك لمن تراه ينوي السّفر: سفرا قاصدا، ولمن قَدمَ قُدوما مباركا، ولمن عاد من الحجّ حجّا مبرورا، ونحو ذلك"(9)، وهنا يحذف الفعل حذفا تداوليا وظيفيا لأغراض تحويلية عديدة أهمها أنّ القرينة واضحة ناطقة تؤول إلى الفعل، ولتفادي تكرار المعروف، ونظير ذلك، ودأب المتكلمين على استعمال هذه الصيغ بشكل مستمرّ، أو كما قال بن مالك في ألفيته:

"والحَذفُ حَتْمٌ مَعَ آتٍ بَدَلاَ *** مِنْ فِعْلِهِ كَ:نَدْلاَ، الَّذْ لكَ:أُنْدُلاَ.

وما لتفصيل كـ إمّا منّا *** عـاملُه يُحذَف حيثُ عنّا"(10)

صور التّحويل بحذف الفعل:

قبل أن نحلّل صورا متواردة من صور التحويل بحذف الفعل في ربع مريم إنه لَجدُرةٌ أن نلمح إلى إننا قسّمنا هذا التّوارد قسمين: قسم هو الحذف في البنية اللغوية المستشفّ من المعطوفات وسنضرب له مثالين للتوضيح، وقسم تعاورت عليه صور متعددة مقدر حذف الفعل فيها بناءً على استلماح القرائن، وسنعرض لكل صورة منه مثالا واحدا فقط:

صورة الحذف في بنية العطف:

قد أحصيناها في كامل ربع مريم كما يلي جاء في سورة مريم في الآيات الآتية: 12- 13-21-23-49-55-58-68-14-77-34، وفي سورة طه ورد في الآيات الآتيات: 3- 6- 4- 7- 10- 16-22- 30- 39-71-86- 94-112-120-103، وفي سورة الأنبياء لمحناه في الآيات: 3-4-9- 25-16-38-28-33-73-78-79-

83-84-89- 90-92-96، في سورة الحج جاء الحذف بالعطف في الآيات الآتية: 5- 14- 15-18-20-22-23-25-26-27-36-37- 40-42-44-64-65-70-73-75، وفي سورة المؤمنون في الآيات الآتية: 20-35-52-45-58-71-78-113، وأمّا في سورة النور فورد في الآيات الجائية: 24-29-31-34-32-37-41-44-47- 48-50-51-52-55، وفي سورة الفرقان ففي الآيات المتلوّة: 19-38-47-53-54- 55-56-62-64-66-75-76، وفي سورة الشعراء جاء في: 36-44-94-95-169- 170-184-218-219، وفي سورة النمل في 2-8-18-19-24-47-48-49-53-57-60-63-64-65-67-68-74-86-87، وفي سورة القصص جاء في الآيات الآتية: 6-9-14-36-39-40-69-73-81-83، وفي سورة العنكبوت جاء في: 15-23- 16- 27-32- 28- 33-38-39-44-45-46-48-55-60-61، وفي سورة الروم في الآيات الآتية:8-16-17-21-24-25-38-41-45، وفي سورة لقمان في الآي الكريمات:14-16-20-25، وفي سورة السّجدة في جمل الآيات الكريمات الآتيات: 4-9-16-27، وفي سورة الأحزاب في:1-5-7-12-17-18-21-22-25-27-28-29-33-34-36-38-45-46-48-50-51-53-57-58-59-60-66-67-72-73، وفي سورة سبأ جاء في الآيات الآتية: 1-2-3-4-9-10-13-15-18-22 31-42-46-54، وفي سورة فاطر وردت هذه الصورة بحذف الفعل في البُنى التركيبية المعطوفة في الآيات الآتية: 3-11-19-20-21-22-24-25-29-33-41، وقد لحظنا – بعد الإحصاء- أن شكول العطف جميمة وكثيرة ووافرة بالموازاة مع الصور المتعددة الأخرى التي اجتهدنا في تحليلها بالتأويل وتفسير القرائن.

إذن وردت هذه الصورة 230 مرّة في الآيات المذكورة آنفا، وننبه إلى أن بعض الآيات فيها تحويلان أو أكثر.

1-القسم الأول:

1-1:الصورة الأولى:

فيها ثلاثة نماذج وهي:

1-1-1: في قوله تعالى وعلا: **(وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا)(الفرقان/3)** فعلان مقدران محولان بالحذف هما معطوفان بالواو على الجمل السابقة التي لها معنى واحد وهما: ولا يملكون حياة مواءمة لـ(ولا يملكون موتا)، ولا يملكون نشورا فحذف الفعل لتلافي التكرار وهذه وظيفة جمالية وصوتية ترتبط بموازنة الفواصل القرآنية من جهة ووظيفة دلالية، فضلا أن أننا نعتقد أن عدم امتلاك الموت هو أقوى وأكبر من عدم امتلاك الحياة؛ ذلك لأن الموت تستتبع الحياة فعطف الفعل المحوّل بالحذف المعطوف (لا يملكون) بعد ما ذكره صراحة، ثم ثنّى بعطفه مخفيا على الحياة ثمّ ثلّث بعطفه محولا بالحذف أيضا على النشور، وكأنه من منطقية هذا التتابع أن عدم امتلاك الموت يؤدّي بنا مباشرة إلى عدم امتلاك الحياة، وعدم امتلاك النشور وفي هذا منطقية تحويلية اقتضت التّسلسل في هذا الأمر،

وقد يصلح أن نقول:" ولا يملكون موتا ولا يملكون حياة ولا يملكون نشورا ولكن إخفاء الفعل بتحويله بالحذف أولا دلّ عليه الحرف السّابك العاطف (الواو)، والفعل منفيّ بلا فالأفعال المعطوفة المحذوفة ستكون منفية أيضا، وهذا هو قانون العربية في تركيبها اللّغوي، والآية الكريمة تبدأ من قوله تعالى وعزّ:(وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً)، ثمّ تعطف الآية المبحوثة (وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً)؛ فهي في سياق متعدد لأفعال منفية، وهو الفعل ذاته الذي عطف مرة ظاهرا ومرة محوّلا بالحذف في البنية العميقة، فلمّا ابتدئ به الكلام ذكر في البنية السطحية وكان موكلا لعدم امتلاك الضر والنفع للأنفس، ثمّ عطف ظاهرا أيضا بعد الموت والحياة والنشور وفي هذا أسلوب قرآني محض فالفعل فعل واحد وهو عدم امتلاك هذه الآلهة الضر والنفع للأنفس من جهة وعدم امتلاكها؛ أي الآلهة الموت والحياة والنشور من جهة أخرى.

1-1-2: في قول الله تعالى:(**فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا**)**(الفرقان/4):** جاؤوا هو المقدر المحول بالحذف ملتمح بالعطف بعد الواو؛ أي فقد جاؤوا ظلما وقد جاؤوا زورا والفعل الأول يخدم المعنيين؛ إذ يقتضي مباشرة أن الظلم يدفع للزّور بل هو ثمرته أو نتاجه؛ ولذلك عطف عليه بحذف الفعل الدال عليه حرف الواو، وهو (الواو) من أكثر الحروف العطفية السّابكة دلالة على المحذوف المقدّر من البنية العميقة لتراكيب الآي الجليلات.

1-1-3: في قوله عزّ وجلّ:**(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ)(الفرقان/17):** بنية الكلام العميقة التوليدية هي ويوم يحشرهم ويحشر ما يعبدون من دون الله، وفي هذا النموذج تغاير لشكل العطف الذي يشمل الفعل المحذوف؛ فالجملة (وما يعبدون) أي الجملة الموصولية كلها هي التي تُقدر في محل نصب مفعول به لفعل (يحشر) المحول بالحذف الموحية به (الواو)؛ إذ المعنى يوم يحشرهم ويحشر ما يعبدون من دون الله، أي الذي يعبدون من دون الله، وهنا عمليتان تحويليتان أخريان هما التحويل بحذف الفاعل وهو لفظ الجلالة "الله" ويوم يحشرهم الله ويحشر الله ما يعبدونه من دون الله؛ أي العملية الأخرى حذف المفعول به وتقدير الكلام ويحشر الله الذي يعبدونه من دون الله من آلهة مختلقة مفتراة ومعبودات مصطنعة ما أنزل الله بها من سلطان، أو ما يعبدون من دون الله "من الملائكة والإنس والجنّ، واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير:(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ) بالياء جميعا، بمعنى: ويوم يحشرهم ربك، ويحشر ما يعبدون من دون فيقول. وقرأته عامة قرّاء الكوفيين(نَحْشُرُهُمْ) بالنون، فنقول، وكذلك قرأه نافع، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب"[(11)].

ونعرب الآية بما يلي: "«وَيَوْمَ» الواو عاطفة والظرف متعلق بفعل محذوف تقديره واذكر «يَحْشُرُهُمْ» مضارع ومفعوله والفاعل مستتر والجملة مضاف إليه «وَما» الواو عاطفة واسم الموصول معطوف على مفعول يحشرهم «يَعْبُدُونَ»"[12]، والمعبودون من دون الله أيضا " كالملائكة وعيسى بن مريم وعُزَيرُ عليهم السّلام، والإنس والجن والأوثان والشمس والقمر والكواكب والحيوان، ومطلب استعمال (من) لمن لا يعقل و(ما) لمن يعقل وبراءة المعبودين من العابدين؛ ذلك لأنّ لفظ (ما) هنا يتناول العقلاء وغيرهم باعتبار الوصف، وفي كل محل يراد بها الوصف لا تخص بالعقلاء، وقد تأتي على قلّة فيهم كما تأتي من على قلّة في غير العقلاء"[13].

ونوجّه دلالة حذف الفعل المعطوف المقدّر التّحويلية في الآية الكريمة بأنّ العابد والمعبود كلاهما محكومان بفعل الحشر، في مكان واحد وزمان واحد، وسنام ذلك كله "يعني: يجمع العابد على الضّلال والمعبود على الضلال في مكان واحد معاً، لماذا؟ لأنّ العابد إذا وجد نفسه في العذاب ربما انتظر معبودَه أنْ ينقذه من العذاب، لكنْ ها هو يسبقه إلى النار ويقطع عنه كلَّ أمل في النجاة"[14]، والمعبود ملحق بعطف الفعل على العابد، وصدارة العابد أحقّ من صدارة المعبود المفتأت على الله؛ لأن اللّوم عينه يقع على العابد وهو جاءَهُ النّذاراتُ والبّشاراتُ والرّسل والقرآن والدّلائل على وحدانية الله تعالى، وتفرّده بأنّه المعبود وحدَه لا شريك له.

الصورة الثانية: وهي عطف الفعل محوّلا بالحذف لكن الفعل مبنيّ لما لم يسمّ فاعله، أو مبني لمفعوله ونموذجه الذي اجتبيناه في الآية40 من سورة الحج؛ إذ يقول الله تعالى وتقدّس:(**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)**؛ فالفعل (هُدّمت) معطوف بالواو ومحوّل بالحذف من بنية المعطوفات "بيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ، ونعتقد أن نسبة الفعل هدّمت بالتّشديد للتّكثير؛ أي هذا الفعل تكرّر كثيرا لكثرة الذي وقع عليه فعل الهدم، أو هُدِمت بالتخفيف، وهذه لغة (أهل الحجاز)"[15]، إذ" قصد بصوامع (صَوَامِعُ للرّهبان)، و(بيَعٌ) وهي جمع لبيعة واحدة؛ كنائس للنّصارى، و(صلوات) كنائس لليهود (بالعبرانية تسمّى صلوثا)"[16]، بفتح الصّاد والثّاء المثلّثة كما في الخفاجيّ على البيضاويّ قال: "وبه قرئ في الشّواذ ومعناه في لغتهم المصلّى فلا يكون مجازا"[17]، وقد تكون كلمة معربة وأصلها بالعبرانية الذّي ذكرناه، و"يقرأ صُلُوْت بضمّ الصّاد واللّام وإسكان الواو صُلُب وصُلُوْب"[18]، ثمّ تأتي (مساجد) للمسلمين من آل محمّد صلّى اللّه عليه وسلمّ (يذكر فيها) اسم اللّه؛ أي المواضع المذكورة"[19]، و" اللّام-هنا-: حرف جواب، هدّمتْ: فعل ماض مبني للمجهول(للمفعول) جواب الشرط مبني على الفتح، التّاء: للتّأنيث، صوامع: نائب فاعل مرفوع (الضمة وهي علامته وليس سبب الرفع)، الواو: حرف عطف، بِيَعٌ: معطوف

مرفوع على الفعل المحول بالحذف المقدّر من الفعل الظاهر (هدّمت) وصلوات: الواو حرف عطف، صَلَوَاتٌ: معطوف مرفوع أيضا على الفعل المحول بالحذف (هدّمت)، الواو: حرف عطف، مَسَاجِدُ: معطوف مرفوع أيضا كما هو الحال على الفعل المحذوف المقدر الذي هو (هدّمت)"[20]، ويحقّ أن نتساءل لِمَ أَخَّرَ (المساجد) فقد يكون تأخيرها راجعا لأن تأثيرها في النّاس أعظم وأشمل من المذكورات من دور العبادة قبلها.

القسم الثّاني: وورد الفعل مقدّرا محذوفا من البنية الظاهرة والقرائن السّابقة أو اللاّحقة هي التي تدلّ عليه وتؤكّد تحويله بالحذف، وتستدرّ دلالات تحويله البلاغيّة والمقاميّة، وجاء في سورة مريم في الآية: 34، وفي سورة طه: 4-14-39، وفي سورة الأنبياء وجدناه في الآيات الآتية: 19-73-75-77-81-82-85-86-90-103، وفي سورة الحجّ في الآيات الآتي ذكرها: 31-63، وأمّا في سورة النّور ففي الآية:41، وفي سورة النّمل في الآيات الآتية: 10-12-52-61-88، وفي سورة القصص في الآيات: 32-43-46، وفي سورة العنكبوت:36، وفي سورة الرّوم: 6-18-31-40، وفي سورة لقمان: 9-26، وفي سورة سبأ: 1-11-12.

الصّورة الأولى:

الفعل المحوّل بالحذف لمفعول مطلق:

ورد في الآية 34 من مريم، وذلك في قوله تعالى:(**مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)**؛ فسبحانَه مفعول مطلق لفعل محوّل بالحذف مقدّر في البنية العميقة بأسبّحُ سبحانه.

وورد في الآية الكريمة 3 من سورة طه، في قوله جلّ وتقدّس:(**تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى)**؛ فتنزيلا مفعول مطلق لفعل محوّل بالحذف نقدّره في البنية العميقة بأنزلناه تنزيلا والهاء محيلة إلى القرآن الكريم والوحي، أو أنزل تنزيلا بالفعل المبني للمفعول"المجهول" وهو مستبعد عندنا.

ووردت هذه الصورة في كل من الآيات الكريمات88من النّمل و9من لقمان و6من الرّوم.

الصورة الثانية: الفعل المحوّل بالحذف مقدّر باستقرّ أو يستقرّ.

وجاء في الآية 19 من سورة الأنبياء، وذلك في قول الله العليّ:(**وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ)**؛ فالأصل على صعيد البنية التركيبية العميقة للآية الكريمة وله من استقرّ أو يستقرّ في السّماوات واستقرّ أو يستقرّ في الأرض، ومن استقرّ أو يستقرّ عنده على حسب تساوق المعنى، وتقاود السياق الكامل للآيات والسّورة؛ إذ" يحصل أن يحذف الفعل

من جملة الصّلة، وذلك أنّه إذا وقعت صلة الموصول شبه جملة(ظرفا أو جارا ومجرورا) قدّر النّحاة تعلّقها بفعل محذوف وجوبا تقديره(استقرّ) أمّا إذا وقع خبر المبتدأ شبه جملة فيجوز تقدير العامل فعلا هو (استقرّ) وهو مذهب سيبويه والجمهور و اسما هو(مستقرّ)" [21]، وإعراب تركيب الآية السابقة هو:" الواو: استئنافية، له: جار ومجرور للتّعظيم متعلق بخبر مقدّم (محوّل بالتّقديم) في الرتبة، من: اسم موصول مبني على السّكون في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر(محوّل بالتّأخير)، في السّماوات: جار ومجرور متعلّق بفعل مضمر(محوّل بالحذف) تقديره (استقرّ)، والجملة الفعلية (استقرّ في السّماوات والأرض) صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب، بمعنى وله كلّ من فيهما خلقا وملكا، عندَه: ظرف مكان منصوب على الظرفية وعلامته الفتحة، متعلّق بفعل مضمر"محوّل بالإضمار أو الحذف" أيضا تقديره(استقرّ عنده)، والجملة الفعلية"استقرّ عنده" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب؛ أي ومن عنده من الملائكة"[22].

ووردت هذه الصورة في الآية 63 من الحج و41 من النّور و26 من لقمان و1 من سبأ.

الصّورة الثّالثة: الفعل المحوّل بالحذف أو بالإضمار مقدّر بفعل أمر: أُذكرْ، أو يفسّره المذكور بعدَه: يرد الفعل اذكر"مع فاعله المخاطب والفعل اذكر مع فاعله المتكلم استغناء من المذكور من القصة أو الحديث ودلالة المقام"[23] وله شواهد عديدة في القرآن الكريم، وورد في الآية 73 من سورة الأنبياء، في قوله تعالى:(**وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ)؛** فإعراب الآية: "«وَلُوطاً» الواو عاطفة ولوطا مفعول به لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور «آتَيْناهُ» فعل ماض وفاعله ومفعوله الأوّل والجملة مفسرة لا محلّ لها من الإعراب"[24]، أو"قوله تعالى: (ولوطًا) أي وآتينا لوطا و(آتيناه) مفسر للمحذوف، ومثله ونوحا وداود وسليمان وأيوب وما بعده من أسماء الأنبياء عليهم السّلام"[25]. وفي الآيات: 75-77-81-82-86-88-90-103 من الأنبياء، و54 من النّمل.

الصّورة الرّابعة: الفعل المحوّل بالحذف أو الإضمار مقدّر في البنية العميقة لمفعول لأجله مذكور في البنية السّطحية للآية:

ومثاله ما جاء في الآية الكريمة 45 من القصص؛ في قول الله تعالى وتقدّس وتبارك:(**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)**: والفعل المحذوف المقدر في البنية العميقة لتركيب الآية الظاهر هو (علّمناك) من أجل الرّحمة أو للرّحمة أو رحمةً، أو "أي لم تشهد قصص الأنبياء ولا تليت عليك ولكنّا بعثناك وأوحيناها إليك للرّحمة لتنذر قوما فتعرفهم هلاك من هلك وفوز من فاز لعلهم يتذكرون وقوله جل وعز ولولا

أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم"[26]، وقد يكون الفعل المحوّل بالحذف:(علّمناك)، و(رحمةً): مفعول به أو مفعول لأجله، قال الزّمخشريّ:" ولكِنْ علمناك رَحْمَةً وقرئ: رحمة، بالرفع: أي هي رحمة ما أَتاهُمْ من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي (خمسمائة وخمسون سنة)، ونحوه قوله: لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ"[27].

ومنهم من جعله فعلا محوّلا بالحذف لمفعول مطلق؛ أي:" ولكن رحمناك رحمةً بإرسالك والوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة"[28]، والمذهب عينه ذهب إليه الأخفش ولكنْ بفعل(رَحِمكَ) "فنصب رَحْمَةً على(ولكنْ رَحِمَكَ رَبُّكَ رَحْمَةً)"[29].

الصّورة الخامسة: الفعل المحوّل بالحذف أو الإضمار مقدّر بـ" قال":

وهذا باب "يحذف فيه فعل القول المقدّر بقال أو يقول أو يقولون(...) استغناء بذكر المقول طلبا للاختصار ولوضوح الدّلالة عليه"[30]، وكثرة وروده قدّم أبو علي الفارسي وسما له بأنه:"من حديث البحر ولا حرج"[31]، ومن أمثلته ما ورد في قوله تعالى: (والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم)، نقّر الفعل المحوّل بالحذف بقولون لهم أو يقولون انطلاقا من سياق الآية الكريمة.

ويحدث أن ترد هذه الصورة في آي القرآن الكريم؛ لاسيما فيما تعلّق بسور السرد والقص والحوار بين الأنبياء وأقوامهم وبين الله عزّ وجلّ ومرسليه، ومبعوثيه من الأنبياء والرّسل، وقرينة الحذف عادة تكون موجودة في البنية الظاهرة للتراكيب القرآنية، فمثلا جملة النداء أو وأوحينا إليه أو فناديناه أو في ما يضارع هذه القرائن، ومثال هذه الصورة التحويلية ما ورد في الآية 10 من سورة النّمل، والآية 11 من سبأ، و97 من سورة الأنبياء.

قال الله تعالى:(**أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**(سبأ/11)**:** وتقدير المعنى باستظهار الفعل المحوّل بالحذف (وأوحينا له وقلنا اعمل)، أو (وقلنا)، أو (وقال)؛ أي: " قال جلّ وعزّ: (أن اعمل سابغات وقدر في السّرد)"[32]، "وقدر بعضهم فعلا فيه معنى القول فقال: التّقدير أمرناه أن اعمل"[33].

الصّورة السّادسة: وهي متواردة بعدد غير قليل في ربع القرآن الكريم بل في القرآن الكريم كلّه؛ ذلك أن المعطوفات قد تكون داخل الآية الواحدة أو تتعدّى إلى آيات متتابعة متوالية بعد فاتحة كل آية وذلك أن القرينة التّي استكنهنا بها الفعل المحوّل بالحذف في الآية الأولى هي التي نسحبها على الآية الثانية وهكذا، وهذا قد نضمّه إلى قسمي المحول بالحذف من الأفعال في المعطوفات ولكن آثرنا أن نشير إلى هذا الشكل لكثرة وروده في الربع المدروس (ربع مريم) ومثاله في قول الله تعالى:**(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)**

(الفرقان/2): رغم أنه مستنتج من المعطوف إلاّ أننا جعلناه مفردا مقدّرا؛ لأنّه ابتدئ به بآية ثانية، وتقدير الكلام مع الفعل المحول بالحذف (تبارك)؛ أي "تفاعل من البركة؛ وهو كقولك: تقدّس"[34]؛ أي تفعّل من القداسة والقدسية، (تبارك) الذي له ملك السّماوات والأرض نسقا نحويا وتركيبيا على مستهلّ سورة الفرقان وبداية الآية تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، نزيد الواو التي منطقها الوجود فكأن الله عز وجل قال: وتبارك الذي له ملك السّماوات والأرض، ويجمل بنا أن نقدّر فعلا محذوفا هو لصيق ببنية الجملة العميقة، وهو استقرّ أو يستقرّ أو يرجع أو يعود على أساس السّياق الذي تعالجه الآية الكريمة، ونقدره في الذي له استقرّ أو يستقرّ ملك السّماوات، يستقر ملك الأرض أو يستقرّ أو يعود أو يرجع أو عاد أو رجع أو آل إلى غيرها من الأفعال التي تخدم توجيهات دلالية معينة مستنبطة من الآية التي تذكر فيها.

خلاصة: ما ينبغي أن يستخلص من دراسة صور تحويل الفعل بالحذف، هو أن دلالة الخفاء مختلفة عن دلالة الظهور، وفي هذا منطقية تحويلية لبنى التراكيب اللغوية في العربية والقرآن الكريم، وليس ثمرة ذلك التوكيد أو اجتناب التكرار الظاهر ولا اشتمال أشياء عديدة على أمر، كل هذه الأشياء مشتركة فيه، بل المنطقية التي تضيء لنا عقلية استكشاف القرائن التي بوساطتها نعثر على الفعل المقدّر في البنية العميقة بما يتلاءم مع شرعية وجوده أو وجود فعل آخر مضمر في الجملة هو أدل وأغنى من غيره، ونلمع إلى أن تفسير القرآن الكريم وإعرابه ممّا انتخبناه للتدليل على بعض ما ذهبنا إليه من احتمال فعل مقدر محذوف يروم مركزية المقدّر بالنظر إلى الأفعال الأخرى، كما هو الأمر في تقدير الفعل استقر جملة صلة الموصول لجملة الآية الجليلة:(**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)(الحديد/1)، أو نظائرها في سور أخرى تدخل في ربع مريم فالدلالة التي يحويها فعل المضارع يستقرّ، أو الماضي استقر فيه مركزية تشمل أغلب تشارك الأفعال في معناه فيكون موكلا عن الأفعال الأخرى، فضلا عن دلالة استعمال الزمن بالتوائم مع سياق الآية ومقامها العام المحيط بها، فمثلا نستطيع أن نقدر: (سبّح لله) ما كان مستقرا في السّماوات وما كان مستقرا في الأرض وهذا صحيح، ولكن علماء التفسير والنحو واللغة والقرآن الكريم استندوا على الدلالة الأقرب إلى منطقية استواء المعنى وتركّب التصوّر بين المحذوفات من الأفعال والظاهر من البنى التركيبية التحويلية القرآنية، وكل هذا راجع إلى إصابة أغراض التراكيب الذي مردّه إلى النّظم كما هو عند الجرجاني؛ إذ قال:" وإذ عرفت أن مدار أمر (النّظم) على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التّي من شانها أن تكون فيه، فاعلم أن الوجوه والفروق كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثمّ اعلم أن ليست المزيّة بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التّي يوضع لها الكلام، ثمّ بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"[35]؛

وهذا كله في فصل أن هذه المزايا في النّظم بحسب المعاني والأغراض التّي توّم، وهذا ما جعلني أقول بأن احتمال تقدير طائفة من الأفعال لبلوغ معنى واحد قائم، ولكن فكرة انتقاء المنطقي منها وكيفية توضّعه في البنية المقدرة، وما القرائن التي تجعلنا تركبه مع غيره من الكلام لإفادة المعنى بواسطة العناصر المحذوفة (الفعل) والعناصر المشفوعة بها البنية السّطحية، وهي مثلا المفعول المطلق أو المفعول لأجله أو معمول صلة الموصول المحذوفة، كما هو الشأن بـ"استقرّ، وأصحاب النظرية التحويلية في اللغة اعترفوا بالحذف بوصفه قاعدة عقلية تحويلية تحصل في اللغة البشرية، وليس الحذف الفعل فقط بل الفاعل والمفعول والحروف والجمل الفعلية والاسمية، وذلك تجاوزا للنحو الوصفي الذي يؤمن بالظاهر، ولا يعمق تصوره في البُنى العقلية التي نجد اللغة فيها أخذت شكلا آخر ليس مفصوما – بأيّ حال من الأحوال- عن علائق البُنى الظاهرة فقد "اعترف النّحو التوليدي التّحويلي بوقوع ظاهرة الحذف في اللغة، وعدّه من الظواهر اللغوية العامّة، وقدّر لهذه الظاهرة أحسن التقدير حيث عدّها عنصرا من عناصر التحويل، ولعل السبب الرئيس الذي أدّى إلى الاتّفاق بين النحو العربي والنحو التوليدي التحويلي في تقريرهما بظاهرة الحذف هو الاعتماد على العقل في دراسة اللغة؛ حيث لا تقتصر الدراسة على الألفاظ والتّراكيب المحسوسة فقط، بل تعدى إلى البنية العميقة تحت هذه المادّة المحسوسة"[36]، أو التي تبين لنا في النطق أو الخطّ، ونحبّ التّنويه والإيضاح إلى أن اللغة الإنجليزية تحتوي على عملية التحويل بحذف الفعل في بناها وتركيباتها ومنطق هذه اللغة قابل لهذه العملية التحويلية فمن أمثلة الحذف فيها:"ما هو شبيه بما يرد في اللغة العربية من حذف في جملة الجواب بما يرد في الإنجليزية من حذف للفعل من جملة الاستفهام فيما دُعي بالاستفهام اللّاحق في الجملتين الآتيتين وغيرهما ممّا يتناوله التّحويليون في درس الحذف"[37].

A) she can read. Can't she ?

B) they should leave.should'nt they ?

فقد حذف الفعل الأصلي من جملة السّؤال، وبقي الفعل المساعد"[38].

نستنتج من هذه الدراسة أن الحذف له قواعده ومنطقيته في نظام تركيب الجملة في اللغة العربية وله معايير أدق في تركيب القرآن الكريم، والحذف قاعدة تحويلية تمنح الحيوية والاختصار الحقيق للتواصل اللغوي، وحذف الفعل هو مستقرأ بقرائن لغوية ومنطقية وسياقية تفهم، فيثبت المحذوف في البنية العميقة للجملة وهو الفعل، والحذف ليس مستبعدا في منطقية اللغة البشرية عن كل اللغات الإنسانمنية، مادامت تحوي الحقيقة الكونية على فعل وفاعل ومفعول به ومتعلقات والإنسان محكوم بمشروطية هذه العناصر كلها.

الهوامش والمراجع:

(1) طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدّرس اللغويّ، الدّار الجامعية للطّبع والنّشر والتّوزيع، الإسكندرية، مصر، د-ط، 1998، ص4.

(2) سنن المصطفى، أبو داود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 158/1، واللسان (حذف). ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني، مباحث لغوية، ص106.

(3) عبد الوهاب زكريا وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي- دراسة تحليلية في القرآن الكريم، التجديد، مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني والعشرون، 2007، ص150.

(4) ينظر: رابح بومعزة، نظرية النحو العربي، المرجع السابق، ص117.

(5) ينظر: علي أبو المكارم، الحذف والتّقدير في النّحو العربي، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة- مصر، ط1، 2007، ص209.

(6) ينظر: سيبويه، الكتاب، 321/1، وينظر أيضا: علي أبو المكارم، الحذف والتّقدير في النّحو العربي، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة- مصر، ط1، 2007، ص209.

(*) وهو نوعان: غير صناعي وهو حالي ومقالي، وصناعي وقد اختصّ بمعرفته النّحويون وللدليل اللفظي شروط هي:"كونه طبق المحذوف فهو مطابق له لا مختلفا عنه، وأن لا يكون ما يحذف كالجزء فينبغي أن يكون مشاكلا لكلية الظاهر في بنية التركيب، وأن لا يكون مؤكّدا، وأن لا يؤدّي حذفه إلى اختصار المختصر أي الاختصار مرّتين، وأن لا يكون عاملا ضعيفا، وأن لا يكون عرضا من شيء، وأن لا يؤدّي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القويّ" ينظر: صبري إبراهيم السّيّد، لغة القرآن الكريم في سورة النّور-دراسة في التركيب النّحوي، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، مصر، د-ط، 1994، ص36

(7) ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص605-610.

(8) صبري إبراهيم السيّد، لغة القرآن الكريم في سورة النّور-دراسة في التركيب النّحوي، المرجع السابق، ص35.

(9) فاضل الصالح السّامرّائي، معاني النّحو، دار إحياء التّراث العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2007، المجلّد الثّاني، ص142.

(10) أبو فارس الدّحداح، شرح ألفيّة ابن مالك، مكتبة العبيكان، الرّياض، المملكة العربية السّعوديّة، 1424هـ، د.ط، ص188.

(11) ينظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري(ت310ه)، جامع البيان في تأويل القرآن"تفسير الطبري"، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، بيروت-لبنان، ط1، 2000، ج19، ص247.

(12) قاسم حميدان دعّاس، إعراب القرأن الكريم"دعّاس" القرن15، دار المنير- دار الفارابي، دمشق-سورية، 1425، ج2، ص367.

(13) عبد الرحمن محمد بن محمد القمّاش، الحاوي في تفسير القرآن الكريم- ويسمّى "جنّة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلّاق، دولة الإمارات العربية المتحدة، الإصدار الأول 2009، ج556، ص103.

(14) محمد متولي الشّعراوي (ت1418ه)، تفسير الشّعراوي، ج1، ص6403.

(15) ينظر: أبو محمد بن حسين مسعود البغوي(510ه)، معالم التّنزيل"تفسير البغوي"، حقّقه وخرّج أحاديثه، محمد عبد الله بن النّمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، ط4، 1997، ج5، ص389.

(16) المرجع نفسه، ص389.

(17) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد، سورية، ج6، ص437.

(18) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(ت616ه)، التّبيان في إعراب القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ج2، ص944.

(19) جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الجلالين، مذيّلا بأسباب النّزول للسيوطي، دار القدس للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1986، ص337.

(20) ينظر: محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص671.

(21) طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدّرس اللغوي، ص259.

(22) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل، المجلّد السابع، ص198.

(23) طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص262.

(24) قاسم حميدان دعاس، إعراب القرآن الكريم"دعاس"، ج2، ص292.

(25) العكبري، التّبيان في إعراب القرآن، ج2، ص922.

(26) أبو جعفر النّحّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النّحوي(ت 338 ه)، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصّابوني، جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، ط1، 1409ه، ج5، ص182.

(27) جار الله بن القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، (467-538هـ)، القرن السّادس، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تحقيق و تعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوّض، شارك في تحقيقه فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، دار العبيكان، الرّياض، المملكة العربية السّعودية، ط1، 1998هـ، ج4، ص510.

(28) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت510هـ)، معالم التّنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، ط4، 1997، ج6، ص211.

(29) أبو سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط(ت215هـ)، معاني القرآن، ج3، ص24.

(30) طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص262.

(31) ابن هشام، المغني،ج2، ص169.

(32) النّحّاس، معاني القرآن الكريم، ج5، ص396.

(33) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم، دار الإرشاد، سورية، ج8، ص74.

(34) أبو يحي محمد بن صمادح التّجيبي(ت419هـ)، القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري، مذيّلا بأسباب النّزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النّيسابوري، مكتبة المنصورة، القاهرة، مصر، 2009، ص395.

(35) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمد الجرجاني النّحوي، دلائل الإعجاز(ت471هـ أو 474هـ)، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمّد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة، مصر، دار المدني بجدّة، المملكة العربية السّعودية، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1992، ص87.

(36) ينظر: عبد الوهاب زكريا وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي، دراسة تحليلية في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص168.

(37) Julia ,S. Falk, linguistics and language, second edition, john Wiley et dongs, u.s.a ; 1978, P. 194-195. نقلا عن طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص261.

(38) طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص261.